

شرح لامية
شيخ الإسلام



حُقوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الناشر
موقع أصحاب الحديث
ashabelhadeth.com



شرح لامية شيخ الإسلام

تلخيص لبعض شروحات اللامية
ألقاها في عدة محاضرات
أبو عبيدة
شعبان العودة
تحفر الله له ولوالديه

موقع أصحاب الحديث

ashabelhadeth.com



القصيدة اللامية

المنسوبة لشيخ الإسلام

أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني

- يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي [١]
 اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ [٢]
 حُبُّ " الصَّحَابَةِ " كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ [٣]
 وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائِلٌ [٤]
 وَأَقُولُ فِي " الْقُرْآنِ " مَا جَاءَتْ بِهِ [٥]
 وَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ [٦]
 وَجَمِيعُ " آيَاتِ الصِّفَاتِ " أَمْرُهَا [٧]
 وَأَرَدُّ عَنْهَا إِلَى نُقَالِهِ [٨]
 فُبْحَا لِمَنْ نَبَذَ " الْقُرْآنَ " وَرَأَاهُ [٩]
 وَالْمُؤْمِنُونَ " يَرُونَ " حَقَّ رَبِّهِمْ [١٠]
 وَأَقْرُبُ " الْمِيزَانَ وَ " الْحَوْضِ " الَّذِي [١١]
 وَكَذَا " الصِّرَاطُ " يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمَ [١٢]
- رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ
 لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ
 وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَى بِهَا اتَّوَسَّلُ
 لِكَيْتَا " الصِّدِّيقِ " مِنْهُمْ أَفْضَلُ
 آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنْزَلُ
 وَ " الْمُصْطَفَى " الْهُدَايِ وَلَا أَتَأَوَّلُ
 حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ
 وَأَصْوُوبُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ
 وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ " الْأَخْطَلُ "
 وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ " يَنْزِلُ "
 أَرْجُو بَأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنَهْلُ
 فَمَسَلَمٌ نَاجٍ وَأَخْرَمُهُمْ هَلُ

و" النَّارُ " يَضْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ ١٣] وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى " الْجِنَانِ " سَيَدْخُلُ
 وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ ١٤] عَمَلٌ يُقَارَنُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
 هَذَا اعْتِقَادُ " الشَّافِعِيِّ " وَ" مَالِكٍ " ١٥] وَ" أَبِي حَنِيفَةَ " ثُمَّ " أَحْمَدَ " يُنْقَلُ
 فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوقَفٌ ١٦] وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مَعْوَلٌ

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فإن مما لا ريب فيه أن الله - سبحانه وتعالى - قد أكمل هذا الدين، وأتم به
 النعمة، وحفظ الكتاب المبين، وسنة خير المرسلين، من تحريف الغالين، وانتحال
 المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتلاعب المتعلمين.

وإن من حفظ الله لهذا الدين أن جعل طائفة من هذه الأمة ظاهرة بالحق،
 والحق ظاهر بها؛ كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي
 ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم
 ظاهرون».

وأصل دين هذه الطائفة التمسك بالكتاب والسنة الصحيحة، واتباع سبيل
 السلف الصالح. وهذه الطائفة المباركة هم الصحابة - رضي الله عنهم - ومن سار
 على ما كانوا عليه - عقيدة وشريعة وسلوكاً وأخلاقاً - إلى قيام الساعة.

وهذه الطائفة بريئة من كل غلو وجفاء، وإفراط وتفريط، لأنها تدين
 بالإسلام المحض، دين الوسطية؛ فأهل السنة وسط في فرق الأمة؛ كما أن أهل

الإسلام وسط في الأمم.

وهذا راجع الى التسليم التام والخضوع الكامل للنصوص الشرعية، كما أنه يتعين التحاكم إليها وتقديمها على غيرها، كما يجب تعظيم نصوص الوحيين وإجلالها وتوقيرها.

فالتسليم يعني خضوع القلب وانقياده لربه المتضمن لأعمال الجوارح، كما أن التسليم "هو الخلاص من شبهة تعارض الخبر، أو شهوة تعارض الأمر، أو إرادة تعارض الإخلاص، أو اعتراض يعارض القدر والشرع، وصاحب هذا التوجه هو صاحب القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، فإن التسليم ضد المنازعة". ١

صفة التسليم للنصوص الشرعية من أهم صفات أهل الإيمان، فلا أحد أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله تعالى.

((وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)) [النساء ١٢٥]، وقال تعالى: ((وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)) [لقمان ٢٢].

وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - أثناء حديثه عن السلف الصالح -

"وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقولة، ولا قياسه. فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم" ١ .

فقد اطلعتُ على لامية شيخ الإسلام فوجدتها منظومة عظيمة في بابها، قوية في خطابها. واختلف في نسبتها لشيخ الإسلام ابن تيمية على قولين: منهم من نسبها له؛ لأنها وجدت ضمن مخطوطاته ، ومنهم من نفاها عنه ولذا بعضهم يقول: المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والخلاف هنا لا يضر مادام أن ما فيها حق ، وحوث مسائل في الاعتقاد اتفق عليها العلماء ، فهي منظومة ثمينة على اختصارها.

ولا يخفى على طلاب العلم اليوم - فضلاً عن العلماء مكانة شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- فهو في الإسلام والعلم والتأصيل بمكان، حتى أصبح قطب الرحي للمؤلفين في العقيدة والفقه، والأصول، والحديث، والتفسير، والأخلاق، والمعاملات، فقلماً تجد مُصنِّفاً في هذه الأمور إلا وقد اقتبس من علم

ابن تيمية - رحمه الله - بين مقل ومستكثر.

ولهذا أحب أن أبتدء بالترجمة لهذا العلم الكبير فأقول

هو الشيخ الإمام العالم الحبر وحيد عصره وفريد دهره شيخ الإسلام أحمد بن

عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحرّاني.

ولد في حرّان [بلد في شمال العراق] يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع

الأول سنة ٦٦١هـ.

لأسرة ابن تيمية شهرة علمية فجده عبد السلام بن عبد الله كان إماماً من أئمة

الحنابلة ومشهوراً بالعلم، ووالده عبد الحليم كان من العلماء المشهورين، فنشأ

شيخ الإسلام في بيئة علمية وترعرع في بيت والده في دمشق، حفظ القرآن عن

ظهر قلب وأقبل على العلوم الشرعية واللغوية حتى أتقن تعلمها وهو ابن بضع

عشرة سنة، فبهر العلماء بذكائه وقوة حفظه حتى رأوا أنه أهلاً للفتوى فأجازه

العلماء وهو في سن الحادية عشرة. درس وطالع وبحث في مختلف العلوم كالفلك

والرياضيات والجغرافيا والطب وكان أعلم بمذاهب أهل الباطل من أهل الباطل

أنفسهم، فتصدى للفلسفة والباطنية والملاحدة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

قال عنه الحافظ المزي: "ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه"

وقال عنه تلميذه الذهبي: "شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفة

وشجاعة وذكاء وكرماً ونصحاً للأمة، وأمرأ بالمعروف ونهياً عن المنكر"

وقال الشيخ عماد الدين الواسطي: "والله ثم والله ثم والله لم يُر تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً وقياماً في حق الله عند انتهاك حرماته..".

شيوخه: حكي البرزالي: "أن شيوخه أكثر من مائة شيخ" وقال تلميذه ابن عبد الهادي: "وبلغ عدد شيوخه أكثر من مائتي شيخ" ومنهم شمس الدين عبد الرحمن ابن قدامة المقدسي، وكذلك أمين الدين عبد الصمد بن عساكر الدمشقي وشمس الدين ابن بدران المرداوي.

تلاميذه: كثير ومن أشهرهم شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية، والحافظ الذهبي، والفقهاء ابن وردى، وابن عبد الهادي، وشمس الدين بن مفلح صاحب كتاب الفروع.

مؤلفاته: ألف كثيراً من المؤلفات ولو قُسمت على أيام حياته لكان نصيب كل يوم سبع عشرة ورقة فهو من المكثرين من التصنيف ومن أبرزها: العقيدة الواسطية، والفتوى الحموية، وكتاب السياسة الشرعية، ومنهاج السنة وغيرها كثير.

يقول الذهبي: "جمعت مصنفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية فوجدته ألف مصنف ثم له مصنفات آخر" وله من الفتاوى والأجوبة ما لا ينضب عددها وقد كتب لسائل يسأل عن فتوى فكتب له في مائتين وثلاثين

صفحة.

محتته: لقد كثرت الافتراءات على شيخ الإسلام من أعدائه من الصوفية وأهل الكلام والمبتدعة حتى حُبس في الشام وفي القاهرة وفي الاسكندرية وتوفي في أحد تلك السجون وسجن وأوذي وصبر وقال كلمته المشهورة: "ما يصنع أعدائي بي؟ إن جنتي وبستاني في صدري أنّي رحمت فهي معي لا تفارقني. أنا حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة" وكان يقول: "المحبوس من حُبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه".

يقول الناظم رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأ رحمه الله تعالى بالبسملة كعادة أهل العلم لأربعة أمور:

أولاً: اقتداءً بالكتاب العزيز، حيث بدأ القرآن بالبسملة

ثانياً: تأسياً بالسنة الفعلية فقد ورد أن النبي كتب في مراسلاته كما جاء في صحيح البخاري " إلى هرقل عظيم الروم بسم الله الرحمن الرحيم "، وهذا أمرٌ يعتبر فعلاً.

ثالثاً: تبركاً باسم الله تعالى، لأن معنى بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله مستعيناً متبركاً، أو أستعين باسم الله، أبدء باسم الله مستعيناً. رابعاً: إجماع المصنفين على هذا العمل.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى في ((الفتح)): وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالتسمية.

(بسم الله) هذا جار مجرور متعلق بمحذوف تقديره أَلْفُ أَي بسم الله أَلْفُ.

(الله) علمٌ لله عز وجل.

(الرحمن الرحيم) اسمان علمان دالان على الرحمة على وجه المبالغة الرحمن أشد

مبالغةً من الرحيم.

قال المصنف رحمه الله:

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي [١٧] رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ
اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ [١٨] لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ
يَا سَائِلِي:

سؤال هداية واسترشاد، وهنا يسأل ويستفسر عن العلم.

عَنْ مَذْهَبِي:

أي ما أذهب وأميل إليه بقلبي واعتقادي.

وَعَقِيدَتِي:

الاعتقاد افتعال، يعني أنه مصدر افتعل يفتعل افتعالاً، اعتقد يعتقد اعتقاداً.
فهو مأخوذ من العقد وهو ربط الشيء، يقال: عقد الحبل إذا شد بعضه ببعض
ومادة عقد في لسان العرب في اللغة تدور على معانٍ ثلاثة

الأول: اللزوم.

والثاني: التأكيد.

والثالث: الاستيثاق

والاعتقاد مصدر بمعنى اسم المفعول، أي: المعقود عليه، وهو ما يحصل به

الاعتقاد.

وعلى هذا فالاعتقاد هو "حكم الذهن الجازم" فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد.

اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ:

أي في دينه لا يعتريه شك ولا رجوع عما اعتقده.

في قوله:

القول له عدة معاني وهنا معناه الاعتقاد ، أي في اعتقاده.

لَا يَنْشِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ:

أي لا يرجع عنه.

قال المصنف رحمه الله:

حُبُّ " الصَّحَابَةِ " كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ [١٩] وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا اتَّوَسَّلُ
وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائِلٌ [٢٠] لِكِنَّمَا " الصِّدِّيقُ " مِنْهُمْ أَفْضَلُ

حب الصحابة -رضوان الله عليهم- الذين نصر الله بهم الدين وحملوه
وبلغوه إلى من بعدهم كلهم بدون استثناء ما دام ثبتت الصحبة يجب حبهم،
فحبهم إيمان وبغضهم نفاق.

قوله حُبُّ " الصَّحَابَةِ "

الصحابي: هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك

قال المرادوي في اللآلئ البهية: " لما كانت مسألة حب الصحابة من أهم مسائل الاعتقاد وهي أمر مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة لسابقتهم في الإسلام، والكتاب والسنة مملوءان من الثناء عليهم، ابتداء بهم " قوله كلِّهم يعني بدون استثناء.

* قدم الناظم الصحابة من باب الاعتراف بحقهم وفضله ولو قلنا إنا لو تصورنا إن الصحابة ما وجدوا أو ما وجد منهم من يحمل هذا العلم والدين كيف يكون من بعدهم؟ إذا كانت الأمة بِأَمْسٍ الحاجة إلى العلم وإلى أهل العلم في أواخر عصورها فكيف بمن كان الواصل بين الأمة وبين نبيها عليه الصلاة والسلام.

وأهل السنة والجماعة يُقرُّون بأن خير هذه الأمة أبو بكر ثم عمر وهذا ثابت بالنص والإجماع ويُثَلِّثون بعثمان ويُربِّعون بعلي رضي الله عنهم أجمعين، ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

- وأهل السنة والجماعة يُمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم

عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر، حتى أنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت هذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم كما جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود.

و ترتيب الخلفاء الأربعة في الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي بلا خلاف رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك ترتيبهم في الأفضلية أبو بكر ثم عمر بلا خلاف عند أهل السنة واختلفوا في الثالث على قولين:

القول الأول: أن عثمان أفضل من علي وهو قول جمهور أهل السنة لما يلي:

- أن عثمان من المهاجرين الأولين.

- أنه هاجر إلى الحبشة.

- أنه تزوج بنتين من بنات النبي صلى الله عليه وسلم حتى قيل: لم يكن

هناك أحد من الدنيا تزوج بنتي نبي إلا عثمان رضي الله عنه.

جهز جيش العسرة على نفقته الخاصة.

- اشترى بئر رومية من اليهود وجعله سبيلاً للمسلمين إلى غير ذلك من

فضائله الكثيرة.

والقول الثاني: وهو قول فريق من أهل السنة وهم قليل: يُثَلَّثون بعلي ثم عثمان في الأفضلية لا في الخلافة لما يلي:

- أنه قريب النبي صلى الله عليه وسلم ويجمع معه في الجد الأول عبدالمطلب بخلاف عثمان فإنه يجمع معه في الجد الرابع عبد مناف.

- قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى" إلى غير ذلك من فضائله الكثيرة رضي الله عنه.

والصحيح أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وينبغي التفريق بين مسألة الخلافة وبين مسألة التفضيل، فالخلافة ليس هناك خلاف في ترتيبهم ومن قدّم علي على عثمان في الخلافة فهو مبتدع وأما الأفضلية فهي مسألة اجتهادية وسبق قول الجمهور فيها.

قوله وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا اتَّوَسَّلُ

القربى: قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنهم لم يفارقونا في جاهلية وإسلام" رواه النسائي، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته لقوله تعالى: {وَإِذْ كُنَّا مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [سورة الأحزاب: ٣٤].

أتوسل: التوسل: التقرب إلى الشيء، والوسيلة هي الطريقة

توسل الناظم بمحبة قرابة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن محبتهم قربة لله عز وجل فهي من الأعمال الصالحة وهذا من التوسل المشروع كما في قصة الثلاثة الذين انطبقت على غارهم صخرة.. وستأتي، ولا يفهم من توسل الناظم أنه توسل بذوات أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا بجاههم ولا بحقهم لأن هذا توسل ممنوع

لان التوسل نوعان: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

أ. أنواع التوسل المشروع:

- التوسل بتوحيد الله عز وجل كما في قول يونس عليه السلام: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأنبياء].

- التوسل بالأسماء والصفات قال تعالى: {وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [سورة الأعراف]. وفي الحديث (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) وهذا كان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر كما جاء عند الترمذي من حديث أنس.

- التوسل لله بالأعمال الصالحة كما في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم، ومنه توسل الناظم بقوله:

"ومودة القربى بها أتوسل".

- التوسل بإظهار الضعف والفقر والحاجة كما قال أيوب: {إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [سورة الأنبياء].

- التوسل بالاعتراف بالذنوب والخطايا وإظهار التوبة والإنابة قال تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} [سورة القصص].

- التوسل بدعاء الصالحين كما فعل عمر رضي الله عنه حينما طلب من العباس رضي الله عنه الدعاء وخرج يستسقي به وقال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فنتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون" رواه البخاري. وهذا النوع من التوسل الذي هو بدعاء الصالحين لا يشرع إلا في حال حياة الداعي لا بعد موته.

ب. أنواع التوسل الممنوع:

- التوسل بدعاء الميت أو بشفاعته لا يجوز لعدم قدرته على ذلك، فالصحابة رضوان الله عليهم لم يذهبوا إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه شيئاً، ولو كان جائزاً ما تركوه.

- التوسل بذات أو بجاه النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره وهذا غير جائز، لأن العبادات توقيفية ولا دليل على جواز ذلك.

- التوسل بحق المخلوق وهذا أيضاً لا يجوز لأن الله ليس عليه حق لأحد لأن

عطاؤه تفضلاً منه ومِنَّةً سبحانه.

قال وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائِلٌ

ولكلهم: يعني لجميع الصحابة ولجميع ذوي الآل والمقصود ذوي الآل الذين هم على الجادة الصحابة كلهم على الجادة من غير استثناء كلهم عدول ونطق القرآن والسنة بعداتهم لكن مما ينتسب إليه ﷺ ممن تأخرت بهم الحياة، يعني من الأئمة من الآل علي رضي الله تعالى عنه إمام هدى خليفة راشد، الحسن والحسين زين العابدين علي بن الحسين من أئمة الهدى، محمد بن علي الباقر ثقة من ثقات المسلمين ومخرج له بدواوين الإسلام فهو ثقة، جعفر بن محمد أيضا مخرج له في الصحاح لكن جاء بعدهم ممن ينتسب إلى الآل ممن خالف سنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

فما نقول هؤلاء كلهم، لا شك إن من هو على الجاد وله قدر وله فضل، وله حق علينا، أما من حاد عنها فالرجال إنما يعرفون بالحق والحق لا يعرف بالرجال كما هو مقرر عند أهل العلم.

ولكلهم قدر: منزلة عالية ورفيعة القدر.

قال لِكِنَّمَا " الصِّدِّيقُ " مِنْهُمْ أَفْضَلُ

- أبو بكر:

عبد الله بن عثمان الصديق رضي الله عنه قال تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ

وَصَدَّقَ بِهِ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [سورة الزمر] (٣٣). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " هل أنتم تاركوا لي صاحبي إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر صدقت " رواه البخاري.

مناقبه في الإسلام كثيرة جداً ، وكان رئيساً في الجاهلية ، وكان إليه معرفة الأنساب وتأويل الرؤيا ، وأسلم على يديه جماعة منهم خمسة مبشرون بالجنة وهم عثمان والزبير وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، وأعتق أعبدًا من المشركين يعذبونهم ومنهم بلال بن رباح ، وحث النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجاء بكل ماله، خلافته سنتان وتوفي عن ثلاث وستين سنة في سنة ثلاث عشرة للهجرة.

قال

وَأَقُولُ فِي " الْقُرْآنِ " مَا جَاءَتْ بِهِ [٢١] آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ

قوله أقول: أي أعتقد، وأبدي اعتقادي في القرآن الكريم.

القرآن: هو كلام الله المعجز، ووحيه المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم

المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته.

فمذهب أهل السنة في القرآن: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ

وإليه يعود.

٢ - ومذهب المعطلة من الجهمية والمعتزلة والماتريدية والأشاعرة:

يقولون: إن القرآن كلام الله لكنه مخلوق.

٣ - ومذهب الواقفية: وهم الذين يقولون أن القرآن كلام الله، ثم يقفون ولا

يقولون مخلوق أو غير مخلوق، ويوقفون على ذلك.

٤ - واللفظية: وهم الذين يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، أو لفظي بالقرآن

مخلوق، وهؤلاء قسم من الجهمية ويقصدون بقولهم ألفاظنا مخلوقة يقصدون

باللفظ الملفوظ أي القرآن ويقصدون باللفظ كلمات الالفاظ أو المتكلم وهذه

الطائفة نشأت في عصر المتوكل، لما انهزم الجهمية وانكسروا بعدما كانوا أعزة في عصر المأمون والواثق والمعتصم، فلما جاء المتوكل وبدأ يجارب الجهمية فبدأوا يتسترون بهذا القول، فبدل أن يقول القرآن مخلوق كما كانوا يصرحون في وقت عزتهم استبدلوها بعبارة لا تثير الناس وهي عبارة ملبسة وتحتمل حقاً وباطلاً، فقالوا ألفاظنا مخلوقة ويريدون بذلك القرآن وهؤلاء اكتشفهم الإمام أحمد ومن معه ولذلك كفروهم، وقالوا إنهم جهمية.

وأحب أن أنبه على مسألة هامه وهي:

أنه جاء عن بعض السلف أنه يقول: أفعال العباد مخلوقة واللفظ جزء من أفعال العباد ويقصد باللفظ التلفظ أي أن أصواتنا وكلامنا نحن مخلوقة، وأما الملفوظ الذي هو القرآن فليس بمخلوق، ومن السلف من قال: أفعال العباد مخلوقة، لما سئل عن مسألة اللفظ، وهذا كلام قاله الإمام البخاري والإمام ابن قتيبة وابن تيمية فيما بعد، وألف فيه ابن قتيبة رسالة بعنوان اختلاف اللفظ، وانتصر لهذا القول، وحصلت للبخاري بسبب هذه العبارات مشكلة ووقع في صراع مع بعض أهل السنة في قصة معروفة وجاء ابن تيمية وصوب قول البخاري، وانتصر له، وقال: إن لفظي بالقرآن مخلوق إن أراد التلفظ فهو مخلوق وإن أراد الملفوظ وهو القرآن فهذا هو قول الجهمية.

وما حصل بين البخاري وبعض أهل الحديث يعتبر أول خلاف وقع بين

أهل الحديث، وهو أول خلاف تبعه فرقة وتحزب، وكلام ومواقف معينة، وهذا الأمر أصبح واضحاً الآن، وجرى تقسيم الناس عليه على ما قال ابن تيمية من قال لفظي بالقرآن مخلوق يستفسر منه ماذا تريد، وعلى ضوء تفسيره يحكم عليه هل هو من الجهمية أو ممن يرى رأي البخاري.

إلا أننا يمكن أن نستفيد مما جرى بين البخاري وبين من خالفه من أهل السنة أن الألفاظ التي تشبه ألفاظ المبتدعة أن الأولى تركها وعدم التلفظ بها حتى لا يحصل أخذ ورد أو يتكئ عليها أهل البدع ويتصرون بها،

المسألة:

أحب أن أنبه على قولهم عبارة منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود كلمة منزل غير مخلوق، هذه العبارة كثير ما يقولها السلف ودائماً يجعلونها بعد قولهم القرآن كلام الله يقولون منزل غير مخلوق، وقولها واجب لأن تركها يثير شبهة ممن لم يذكرها لاحتمال أن هذا المتكلم يرى أن القرآن مخلوق لذا فيجب إضافتها.

وكذا عبارة: منه بدأ، يجب إضافتها، ومعنى منه: من هنا ابتدائية أي أن الكلام صدر من الله وتكلم الله به، وأما أهل البدع فإنهم يقولون من اللوح المحفوظ بدأ أو يقولون من جبريل بدأ أو من محمد بدأ، فيرون أن العبارات مخلوقة جاء بها جبريل أو الرسول، أو خلقت في اللوح المحفوظ وأخذها جبريل،

وأما كلمة: وإليه يعود فإضافتها من باب الاستحباب، وكلمة إليه: الضمير يعود إلى القرآن والسلف يفسرون العود إلى الله بتفسيرين:

١ - أن القرآن صدر من الله كما تقول منه وإليه فيكون وإليه يعود تأكيداً لكلمة منه بدأ.

٢ - إليه يعود، أي: يرفع فإنه جاء في الآثار أن القرآن في آخر الأيام يرفع من الصدور إلى الله.

ثم تكلم المصنف عن اعتقاد أهل السنة في القرآن، وكلها تأكيدات يقصد بها الرد على أهل البدع، فمنها قوله:

إن القرآن له أول وآخر وأجزاء وأبغاض وأنه متلو بالألسنة محفوظ بالصدور مسموع بالأذان، إلخ كلامه رحمه الله.

ثم استعرض الأدلة فبدأ بالأدلة من القرآن لإثبات أن القرآن كلام الله ثم الأدلة من السنة، وختم حديثه ببيان حكم من أنكر القرآن فقال نقلاً عن علي بن أبي طالب من كفر بحرف منه فقد كفر به كله، وقال: ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفق عليه أنه كافر.

ومن ادعى أن شيئاً من القرآن زائد أو نقصان لا إشكال في كفره وردته، لأن الأمة أجمعت على أن القرآن محفوظ كما هو نص القرآن والذي يزعم أن هناك زيادة أو نقصان مكذب للنص القطعي

وذكر الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى أن يهودياً دعاه يحيى بن أكثم إلى الإسلام فلم يسلم وبعد سنة كاملة أتى إلى يحيى بن أكثم فأعلن إسلام فسأله عن السبب فقال: إنه نسخ نسخاً من التوراة وزاد فيها ونقص وحرف وقدم وأخر ثم ذهب بها إلى سوق الوراقين من اليهود فتخطفوها من يده، وباشر قراءتها والعمل بها وهي محرفة.

ثم عمد إلى الإنجيل فصنع به مثل ذلك وذهب به إلى سوق النصارى فاشتروها منه ولم يترددوا في ذلك، وباشر قراءتها والعمل بها.

ثم عمد إلى القرآن فقدم وأخر بشيء يسير لا يكاد يطلع عليه الفرد من الناس ثم ذهب به إلى سوق الوراقين بين المسلمين وعرض النسخ عليهم النسخ كل من رأى نسخة رماها في وجهه وقال: إنه محرم فعلمت أن الدين حق وأن هذا الكتاب محفوظ فأسلمت، فتعجب يحيى بن أكثم فلما حج اجتمع سفيان بن عيينة وذكر له القصة.

قال

وَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ [٢٢] وَ" الْمُصْطَفَى " الْهُادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ

يعني أعتقد أن ما جاء على الله جلا وعلا وعن نبيه عليه الصلاة والسلام مما يتعلق بالله جلا وعلا من أسماء أو صفات أو أفعال على ما يليق بجلاله وعظمته. فلا أتأول: يعني أعتقد ما جاء عن الله وعن رسوله عليه الصلاة والسلام ولا أتأول ذلك بل أمره كما جاء

أقول: أعتقد في قولي هذا الحق وأن الله قال وتكلم حقيقة كما يليق بجلاله

وعظمته

المصطفى: المقصود به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

- قوله (ولا أتأول):

التأويل المقصود به تأويل النصوص الواردة فيها عن ظاهرها كتأويل الوجه

بالنعمة، والاستواء بالاستيلاء.

- حكم التأويل:

على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون صادراً عن اجتهاد وحسن نية، بحيث إذا تبين له الحق رجع

عن التأويل فهذا معفو عنه ، لأن هذا منتهى وسعه ، وقد قال الله تعالى: {لَا

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [٢٨٦] سورة البقرة].

الثاني: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وله وجه في اللغة العربية ، فهو فسق وليس بكفر إلا أن يتضمن نقصاً أو عيباً في حق الله فيكون كفراً.

الثالث: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له.

قال

وَجَمِيعُ " آيَاتِ الصِّفَاتِ " أَمْرُهَا [٢٢] حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ
وَأَرَدُّ عَهْدَتَهَا إِلَى نُقَالِهِ [٢٤] وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

هذا بيان لطريقة السلف والقرون المفضلة في آيات وأحاديث الصفات
أولاً: أن طريقة السلف في صفات الله أنهم يصفون الله عز وجل بما وصف به
نفسه سواء كانت الصفة بالقرآن أو فيما صح من السنة.

ثانياً: أنهم يؤمنون بها،.

ثالثاً: تلقيها بالتسليم والقبول. والتسليم: هو الانقياد وضده الترك.

والقبول: وضده الرد.

رابعاً: ترك التعرض لأحاديث وآيات الصفات أي ترك الاعتراض.

والترك يكون لخمسة أمور:

١- الرد: ويقصد به الإنكار والتكذيب.

٢- التأويل: ويقصد به صرفها عن ظاهرها وعن معناها اللغوي.

٣- التشبيه: وهو أن يقول أن صفات الله تشبه كذا مما هو معروف عند

الناس.

٤- ترك التمثيل للصفات: أي لا يقال صفات الله مثل كذا.

والفرق بين التشبيه والتمثيل:

* أن التشبيه هو تشبيه الصفات بأن يجعلها تشبه كذا، أي أن هناك شبه في بعض الوجوه بين صفات الله وصفات المخلوقين.

* أما التمثيل: أن يقول أن صفات الله مثل كذا تماماً، والمثلية أن يكون مثله في كل شيء.

أما التشبيه فيكون مثله في بعض دون بعض.

٥- عدم التعرض لكيفية صفات الله عز وجل.

هذه هي طريقة السلف في صفات الله وهي طريقة مجمع عليها عند السلف وهي جارية في كل صفة من صفات الله.

قوله كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ

يعني نعتقد أن ما اعتقده خيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والطراز: عَلَمُ الثوب، والطراز الأول: الرعيل الأول من الصحابة والعلماء الأفاضل كالإمام أحمد بن حنبل، والثوري، وسفيان بن عيينة وغيرهم من أئمة السلف كثير رحمهم الله تعالى.

نقاهما: النَّقَالَ: هم الأئمة الثقات الذين نقلوها إلينا صافية نقية.

ومن القواعد في صفات الله تعالى:

أ- صفات الله كلها عليا، صفات كمال ومدح ليس فيها نقص بوجه من الوجوه كالحياة والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعلو وغير ذلك لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} [الآية (٦٠) سورة النحل].

- إذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه سبحانه كالموت والجهل والعجز ونحو ذلك.

- إذا كانت الصفة كمالاً من وجه ونقصاً من وجه [كالمكر والكيد والخداع] لم تكن ثابتة لله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق بل لا بد من التفصيل، فنثبتها لله في حال الكمال وتكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصاً في غير هذه الحال فلا نثبتها لله في حالة النقص.

مثال ذلك:

قال تعالى: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ} [سورة الأنفال (٣٠)].

{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا*وَأَكِيدُ كَيْدًا} [سورة الطارق (١٦-١٥)]. {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [سورة النساء (١٤٢)].

ب - صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية.

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة والعلم والقدرة، ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به؛ لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

والسلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم فيجب نفيها عن الله؛ لأن الله نفاها عن نفسه ، لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل لأن النفي لا يكون كما لا حتى يتضمن ثبوتاً.

مثال ذلك:

في قوله تعالى: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [سورة الكهف] (٤٩) ، يجب نفي الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل.

ج. الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالسمع والبصر ، فهي لازمة له سبحانه أولاً وأبداً لا تتعلق بمشيئته سبحانه ، كصفة اليدين مثلاً.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كصفة الاستواء على العرش والمجيء والرضا والمحبة والغضب.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية: كالكلام فهي صفة ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، وصفة فعلية لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء.

د. إثبات جميع ما ورد في الكتاب والسنة من الصفات

فأهل السنة والجماعة يثبتون كل ما ورد في الكتاب والسنة من الصفات بغير تأويل ولا تعطيل وبغير تشبيه وتمثيل وخالف أهل السنة والجماعة في ذلك كل

من:

الجهمية: الذين ينفون الأسماء والصفات جميعاً.

المعتزلة: الذين يثبتون الأسماء والأحكام وينفون الصفات فيقولون: عليم بلا علم وقدير بلا قدرة وحي بلا حياة وهذا القول غاية في الفساد فإن إثبات موصوف بلا صفة محال في العقل كما هو باطل في الشرع.

الأشعرية: الذين يثبتون سبع صفات فقط ويقولون هي التي دلَّ عليها العقل وهي [الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام]. [انظر شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ١٦٠، وشرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ٢٤]

- تفسير آيات الصفات وأحاديثها على نوعين:

أ. تفسير مقبول: وهو ما كان عليه الصحابة والتابعون من إثبات المعنى اللائق

بالله عز وجل الموافق لظاهر الكتاب والسنة

ب. تفسير غير مقبول: وهو ما كان بخلاف ذلك من المعاني التي ابتكرها

المعطلة والمشبهة وغيرهم ، وحرّفوا بها نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها ،

فأخرجوا لنا معاني لا تليق بالله عز وجل وعليه يُحمل قول الإمام أحمد في حديث

النزول وشبهه: " نؤمن بها ونصدق لا كيف ولا معنى؟ " فهو نفى المعنى الذي

ابتكره المعطلة من الجهمية وغيرهم.

قوله أصونها عن كل ما يتخيل

أي أصون آيات الصفات عن كل ما وصلني من تأويل وتحريف وتعطيل وتكليف، الناتجة عن التوهّمات التي تخطر في بال البشر، قال الإمام أحمد بن حنبل: " كل ما أخبر الله تعالى به في كتابه من صفاته فهو كما أخبر لا كما يخطر للبشر ". فأراد الإمام أحمد بمقولته أن الذي يخطر على البشر من تأويل وتعطيل وتحريف وتكليف ليس هو المراد الصحيح وإنما الواجب أن تُصان عن ذلك كله وأن لا يتخيلها الإنسان لأن هذا يسوقه إلى الضلال.

- قال الفخر الرازي:

نهاية إقدام العقول عقال	وغاية سعي العالمين ضلال
أرواحنا في وحشة من جسمنا	وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه: قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق إليه طريقة القرآن اقرأ في الإثبات: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [(٥) سورة طه]، {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [(١٠) سورة فاطر]. وقرأ في النفي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [(١١) سورة الشورى]، {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [(١١٠) سورة طه]. ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي " .

وقال الآخر:

لعمري لقد طففت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعاهد
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وقال أبو المعالي الجويني: إمام الحرمين:

" يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما
اشتغلت به وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم وخلت أهل الإسلام
وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل
لابن الجويني وها أنا ذا أموت على عقيدة أُمِّي أو قال على عقيدة عجائز نيسابور"

قال

قُبْحًا لِمَنْ نَبَدَ " الْقُرْآنَ " وَرَاءَهُ [٢٤] وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ " الْأَخْطَلُ "

ذم شيخ الإسلام في هذا البيت من ترك الحجة القرآن والسنة وراءه ظهرياً وأعرض عنها، ثم يأتي بأقوال واعتقادات باطلة فهمها وتصورها مستنداً ومستدلاً عليها بقول شاعر نصراني، فتارة يقول القرآن عبارة عن كلام الله تعالى وهو كلامه القائم بنفسه المقدسة، وتارة يقول أن القرآن حكاية عن كلام الله، وتارة يقول بالكلام النفسي في الفؤاد فقط ويستدل بقول شاعر نصراني يقال له الأخطل حيث قال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وقيل: إن هذا البيت ليس من شعر الأخطل بل هو محرف وإلا فقول

الأخطل:

إن البيان لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وإذا قدرنا أن هذا البيت صحيح فإنه لا يجوز الاستدلال بقول شاعر نصراني

أصلاً كالأخطل لأنه ليس بمستغرب أن يقول مثل هذا الكلام شاعر نصراني

فهذه هي عقيدته ودينه الذي يدين به، فالنصارى قد ضلوا في مفهوم الكلمة

حيث إنهم جعلوا عيسى عليه السلام هو نفس الكلمة، فهم يقولون: الكلمة

تجسدت في عيسى، وعندهم أن عيسى هو كلام الله بمعنى أنه هو ذات كلمة الله، وأما نحن نعتقد أن عيسى كلمة الله كما أخبر الله سبحانه وتعالى في قول الملائكة لمريم: {إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (٤٥) سورة آل عمران، وكما جاء أيضاً في الحديث الصحيح " وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم " وسمي بالكلمة: لأنه وُجد بكلمة من الله ، فالله عز وجل قال له: كن، فكان {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [سورة آل عمران] (٥٩) فلأنه وُجد بالكلمة خرج عن عادة خلق الناس حيث ولد من أم بلا أب فأطلقت عليه الكلمة، لا كما تعتقد النصارى أن عيسى نفس الكلمة، فالنصارى هذا دينهم وهذا فهمهم فكيف نأخذ كلامهم حتى لو قال الأخطل هذا البيت وثبت عنه فلا نأخذ بكلام شاعر نصراني هذه عقيدته.

- قال الإمام أحمد وغيره: "لم يزل الله متكلماً إذا شاء، وكماله المقدس مقتضى لكلامه، وكماله من لوازم ذاته، فلا يكون إلا كاملاً، والمتكلم أكمل ممن لم يتكلم "

قال المصنف رحمه الله:

وَالْمُؤْمِنُونَ " يَرُونَ " حَقًّا رَبَّهُمْ [٢٦] وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ " يَنْزِلُ "

يرون حقاً ربهم: المقصود به يوم القيامة يعني في الجنة حقيقة لا مجازاً.

- الفوائد:

في هذا البيت مسألتان عظيمتان: (مسألة رؤية الله عز وجل، ومسألة نزوله سبحانه وتعالى).

أولاً: مسألة الرؤية

وهي مسألة عظيمة من مسائل الاعتقاد أثبتها أهل السنة من السلف والخلف بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [٢٢, ٢٣] سورة القيامة.

قال الإمام الحافظ البيهقي في كتابه (الرؤية): " هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، ومثله لا يقال إلا بتوقيف، وفسروا قوله تعالى: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾"، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حسنة، (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال ناظرة إلى الخالق. وقال عكرمة: (نَّاصِرَةٌ) من النعيم، (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال: تنظر إلى الله نظراً.

٢- قوله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [٢٦] سورة يونس، فالحسنى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، وروى مسلم في صحيحه عن صهيب قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} قال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل

الجنة، إن لكم عند الله موعداً، يريد أن ينجزكموه. فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة". كذا فرها الصحابة رضوان الله عليهم منهم أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى وابن عباس رضي الله عنهم.

٣- قوله تعالى: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [سورة ق،] قال

علي بن أبي طالب وأنس رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله عز وجل.

٤- حديث أبي هريرة المتفق عليه قال: أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى

ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟" قالوا: لا، يا رسول الله. قال: "هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟" قالوا: لا، قال: "فإنكم ترونه كذلك"... الحديث.

٥- حديث أبي سعيد وحديث جرير بن عبد الله المتفق عليه، قال: "كنا

جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: "إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته".

خالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة والرافضة والزيدية والأباضية فأنكروا

رؤية الله عز وجل واعتمدوا على شبهات واهية وتعليلات باطلة.

قال الإمام أحمد: من لم يقل بالرؤية فهو جهمي، وقال مرة: هو زنديق، وقال

أيضاً: وقد بلغه عن رجل قال: إن الله لا يرى في الآخرة؟ فغضب غضباً شديداً، وقال: من قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر، أو فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه كائناً من كان من الناس، أليس يقول الله عز وجل: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [سورة القيامة]، وقال: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ} [(١٥) سورة المطففين]، وقال أيضاً: "يستتاب فإن تاب وإلا قتل"، وقال أيضاً: "نؤمن بها، أي الرؤية وأحاديثها، ونعلم أنها حق" [أنظر لوامع الأنوار ٢/٢٤٦].

والرؤية فيها مسائل:

- ١ - المصنف تكلم عن الرؤية يوم القيامة، لكن قبل يوم القيامة هل هناك رؤية؟ وهل يرى الله في الدنيا؟
فيها مذهبان فيما أعلم:
- الأول: مذهب الصوفية: وهؤلاء يرون أن الله يرى في الدنيا يقظة وأن الأولياء يرون الله في الدنيا فيكلمهم ويكلمونه.
- الثاني: مذهب السلف وهو أن الله لا يرى في الدنيا بإجماع السلف، واستدلوا بقوله تعالى: {لن تراني ولكن انظر إلى الجبل} (١).

لكن اختلف السلف في النبيّ خاصة هل رأى ربه في الدنيا أم لم يره، والخلاف وقع بين الصحابة:

القول الأول: أنه لم يره ببصره ولا بعين رأسه.

واستدلوا لهذا - وهو قول الجمهور - بحديث عائشة: من قال إن الرسول رأى الله فقد أعظم على الله الفرية.

واستدلوا بحديث أبي ذر لما سأله: هل رأيت ربك؟ قال: نور أنى أراه.

والقول الثاني: أنه رآه.

واستدلوا بقول الله تعالى: {ولقد رآه نزلة أخرى} (١)، وقوله: {ثم دنى

فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى} (٢)، وحديث: " رأيت ربي بأحسن صورة" (٣).

والصحيح القول الأول.

ثم هل رآه رؤية قلب ومنام في الدنيا أم لا؟

والصحيح أنه رآه في المنام، وهو اختيار ابن تيمية، وهو مضمون قوله عليه

(١) النجم : ١٣ .

(٢) النجم : ٨ .

(٣) رواه الترمذي في سننه ٣٦٦/٥ (ح٣٢٣٣) ، والدارمي ١٧٠/٢ (ح٢١٤٩) ، وأحمد ٣٦٨/١ (ح٣٤٨٤) .

السلام: " رأيت ربي في أحسن صورة "، وهذا المشهور بحديث اختصاص الملائكة الأعلى.

أ) ٢- هل الله يرى في الآخرة - يوم القيامة -؟

أ- مذهب أهل السنة والجماعة: وهو أن الله يُرى في الآخرة في موضعين: في عرصات القيامة، يراه المؤمنون بأبصارهم، ذكر ذلك ابن تيمية في الواسطية، وقال: يروونه سبحانه في عرصات القيامة. ويُرى أيضاً في الجنة وهو الذي أشار إليه المصنف بقوله: ويزورهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه، إلا أن المؤمنين يتفاوتون في الرؤية على حسب درجاتهم، والرؤية أعظم نعيم الجنة.

واختلف أهل السنة والجماعة بالنسبة لرؤية الكفار لربهم يوم القيامة، وقد ظهر الخلاف في هذه المسألة تقريباً في القرن الثالث على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الكفار لا يرون الله بحال من الأحوال سواء كان كافراً أصلياً أم مرتداً، أو كان ممن يظهر الإيمان ويُسر الكفر وهم المنافقون أو غيرهم، فلا يرى أحدٌ من هؤلاء الله عز وجل يوم القيامة، وهذا هو اختاره المصنف، ولذا قال: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} [المطففون ١٥]

فلما حجب أولئك في حال السخبط دل على أن المؤمنين يروونه في حال الرضى

وإلا لم يكن بينهما فرق اهـ وعليه أكثر العلماء.

القول الثاني: أن الكافر الأصلي لا يراه أما المنافق وهو من يظهر الإيمان ويطن الكفر، فإنه يراه في عرصات القيامة، ثم يحتجب الله عنهم، واختار هذا ابن خزيمة في كتاب التوحيد.

القول الثالث: أن الكفار يرونه لكنها رؤية عذاب كاللص حينما يراه السلطان، واستدلوا على ذلك بأحاديث اللقاء والكلام؛ لأن الله يكلم الكافر، وعندهم أن الكلام واللقاء يستلزم الرؤية والأول أقوى.

أما مذاهب الناس في الرؤية:

أ - مذهب الأشاعرة: وهم يثبتون الرؤية ويقولون أن الله يُرى يوم القيامة، لكن يقولون يُرى لا عن مواجهة لأنهم لا يثبتون العلو، وأيضاً يقولون لا عن معاينة، ويجعلون رؤيته رؤية علمية، بمعنى العلم واليقين والكشف، وهذا في الحقيقة نفي للرؤية، وإنما يتسترون بقولهم إن الله يُرى، فإذا قيل كيف يُرى؟ هل يرونهم بأبصارهم؟ قالوا: لا، وإنما يرونه بقلوبهم.

ب - والماتريدية، مثل مذهب الأشاعرة.

ج - ومذهب المعتزلة والجهمية والخوارج والرافضة نفى الرؤية ويقولون إن

الله لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ثانياً: نزول الله تبارك وتعالى:

مذهب أهل السنة والجماعة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا على ما ورد في الأحاديث الصحيحة نزولاً يليق بجلاله وعظمته بدون تحريف ولا تكييف ولا تمثيل وأن تأويله بنزول رحمته أو أمره خطأ وبدعة. عن حرب بن إسماعيل قال: "هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الحديث والأثر وأهل السنة المعروفين بها، وهو مذهب أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، والحميدي وغيرهم، كان قولهم: إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [(١١) سورة الشورى].

وخالف في معنى النزول طوائف: فمنهم من يقول: إنه ينزل كنزول المخلوق وهم المشبهة، ومنهم من أوله فقالوا: إن المعنى في النزول نزول الأمر والإرادة والرحمة والنية إلى غير ذلك من التأويلات.

- الأدلة على نزول الرب تبارك وتعالى:

قال الذهبي في كتاب العلو: "إن أحاديث النزول متواترة تفيد القطع".

ومن الأدلة على ذلك:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟" [متفق عليه].

٢- حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من

يوم أكثر من أن يعتق فيه عبداً من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء" رواه مسلم.

٣- حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: أنظروا إلى عبادي شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق" رواه ابن حبان في صحيحه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رداً على من قال كيف ينزل؟: " فقول السائل: كيف ينزل؟!

بمنزلة قوله: كيف استوى؟ كيف يسمع؟ كيف يبصر؟ وكيف يعلم ويقدر؟ وكيف يخلق وكيف يرزق؟ وقد أجاب عن مثل هذا السؤال أئمة الإسلام مثل: مالك بن أنس، وشيخه ربيعه بن أبي عبد الرحمن قد روي من غير وجه أن سائلاً سأل مالكا عن قوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [(٥) سورة طه] كيف استوى؟ فأطرق مالك حتى علاه الرخصاء ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء، ثم أمر به فأخرج، ومثل هذا الجواب ثابت عن ربعة شيخ مالك.

قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: "كيف يحاسب الله العباد في ساعة واحدة؟ قال: كما يرزقهم في ساعة واحدة.

فمذهب أهل السنة والجماعة في صفة النزول:

أنهم يثبتونه لله في كل ليلة إلى السماء الدنيا، وهذه الصفة من الصفات المتعلقة بالمشيئة أيضاً.

و مذهب المعطلة في هذه الصفة متفرقة:

١ - فمذهب الجهمية والمعتزلة ومتأخري الأشاعرة والماتريدية: كل هؤلاء ينكرون صفة النزول، ويفسرون النزول إما بنزول أمره، وإما بنزول ملائكته أو رحمته.

٢ - ومذهب الكلابية: وهؤلاء يثبتون النزول لله، ويقولون: إن النزول صفة من صفات الله، لكن حينما يفسرون هذه الصفة، يفسرونها بتفسير يدل على أنه مخلوق، فيقولون: معنى ينزل الله، أي أنه فعلٌ يفعلُه الله في السماء الدنيا سماه نزولاً، ومعنى كونه فعلاً، أي شيء مفعول مخلوق.

فكلامهم تماماً مثل كلام الجهمية، إلا أنه مخفف العبارة أو مغلف بغلاف يخدع الناظرين، فإذا قالوا إنه من صفات الله الفعلية، ظن الظان أنهم يثبتون الصفة كالسلف، لكن إذا قالوا فعل يفعلُه الله في السماء، انفضح أمرهم، لأنهم يجعلونه مخلوقاً، أو شيئاً مفعولاً، وعلى هذا المذهب البيهقي في الأسماء والصفات، وكذا أبو الحسن الأشعري والباقلاني، وكذلك ابن كلاب إمامهم.

مسائل في صفة النزول لله تعالى:

١ - هل يقال: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا بدون حركة ولا انتقال؟
الجواب أننا نقول نفي الحركة والانتقال أو إثباتهما يحتاج لدليل لذا يُسكت عن ذلك ويقال كما قال الله ينزل ونقف حيث وقف السلف فهم عن علم وقفوا ولا ننفي أو نثبت الحركة أو الانتقال إلا أن بعض السلف ذكر النزول بحركة وانتقال في باب الردود لما ردوا على الكلائية وإلا فلا دليل على هذا التفصيل.

٢ - أورد المعطلة شبهات حول صفة النزول وقالوا إن الله ينزل في الثلث الأخير من الليل فيلزم أن الله دائم نازلاً لأنه لا يخلو مكان من ليل؟
والجواب: أن يقال: إن الله ليس كمثله شيء، فكما أن الله يسمع الأصوات ولا يشغله صوت عن صوت ولا يقال إذا كان يسمع هذا الصوت فإنه ينشغل عن الصوت الآخر ولا يقال إنه لكثرة الأصوات يلزم أن الله دائم يسمع فقط.

مثال آخر:

الحساب يوم القيامة فإن الله يحاسب الخلق في ساعة واحدة ولا يشغله محاسبة عن محاسبة، كما أنه يرزق الخلق في ساعة واحدة، ويميت ويحيي ولا يشغله عمل عن عمل لأن الله ليس كمثله شيء وإنما هذا المخلوق الضعيف الذي إذا تكلم أو انشغل في عمل انصرف عن الأشياء الأخرى أو إذا نزل في مكان لم ينزل في غيره

في ساعته (١).

((١) ومن أراد مزيد الرد ففي كتاب ابن تيمية واسمه شرح أحاديث النزول ص ٦٨ ، ١٠٦ ، ورسالة ابن رجب في فضل علم السلف ص ٦ ، وشرح الهراس لكتاب التوحيد لابن خزيمة لما ذكر صفة النزول لله تعالى .

- قال المصنف رحمه الله:

- وَأَقْرَبُ " الْمِيزَانِ " وَ " الْحَوْضِ " الَّذِي □ أَرْجُو بَأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنَّهُ لُ
 وَكَذَا " الصِّرَاطُ " يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمَ □ فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَأَخْرَجَ مُهْمَلٌ
 وَ " النَّارُ " يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ □ وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى " الْجَنَانِ " سَيَدْخُلُ
 وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ □ عَمَلٌ يُقَارَنُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

في هذه الفقرة مسائل

أولاً: الإيمان بالميزان:

الإيمان بالميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} [٦] سورة القارعة]، وقال: {وَنَضَعُ
 الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [٤٧] سورة الأنبياء]، وأخرج
 الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 يشفع لي يوم القيامة فقال: "أنا فاعل إن شاء الله"، قلت: أين أطلبك؟ قال: "على
 الصراط"، قلت: فإن لم ألقك على الصراط، قال: "فاطلبني عند الميزان"، قلت:
 فإن لم ألقك عند الميزان قال: "فاطلبني عند الحوض فإنني لا أخطئ هذه الثلاث
 مواطن".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: "كلمتان حبيبتان إلى

الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم" إلى غير ذلك من الأدله وأجمع السلف على ثبوت الميزان.

فالميزان أصله موزان قلبت الواو ياءً لأنه مأخوذ من الوزن، وهو في اللغة ما تقدر به الأشياء خفةً وثقلاً، الميزان المعروف، وشرعاً ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد، والأصل فيه أننا نثبت لفظ الميزان ونثبت له الكفتين وما عدا ذلك فنسكت عنه نسكت عنه ولا نثبت حتى اللسان وقد ذكره الصنف هنا كغير لكن هذا فيه شيء من التمثيل، وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف إجماع السلف في إثبات الميزان لكن ما الذي يوزن؟ ونحو ذلك هذا مما وقع فيه نزاع فأصل المسألة مجمعٌ عليها وأما بعض الفروع فهذه مختلفٌ فيها، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]. وهي الآية التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى، وقال صلى الله عليه وسلم: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم». متفق عليه، وأجمع السلف على ثبوته، وهو ميزان حقيقي، يعني: ليس بشيء معنوي كما رده بعض المبتدعة إلى العدل قال: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ ﴾ * أي: العدل، «ثقيلتان في

الميزان». أي: العدل، وهذا باطل، لأن الميزان شيءٌ غير العدل، وهذا لفظ عربي وهذا لفظ عربي، حيثُ يُفسر بما جاء في النصوص، فهو ميزان حقيقي له كفتان لحديث صاحب البطاقة توضع في كفة وهذه في كفة أخرى لحديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب البطاقة قال: «توضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة».

نعود الى مسألة اختلف العلماء فيها وهى أي شيء يوزن؟

ف قيل: العمل.

وقيل: العامل.

وقيل: الصحف.

والصحيح والله أعلم أن كل ذلك يوزن في الميزان وبه تجتمع الأدلة ومن

والأدلة على ذلك ما يلي:

فمن الأدلة التي تدل على أن العمل هو الذي يوزن، ما ثبت في الصحيحين

من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كلمتان حبيبتان إلى

الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله

العظيم".

ومما يدل على أن العامل هو الذي يوزن ما جاء في الصحيحين من حديث أبي

هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم

القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة". واقروا: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [١٠٥) سورة الكهف].

وأيضاً ما رواه أحمد من حديث ابن مسعود أنه كان دقيق الساقين فجعلت الريح تلقيه فضحك القوم منه فقال صلى الله عليه وسلم: "م تضحكون؟" قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، قال: "والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد".

ومما يدل على أن الصحف هي التي توزن حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذه شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم، وتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء".

قال ابن كثير في تفسيره ٢٠٢/٣: "وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن

يكون ذلك كله صحيحاً فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم".

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو موازين كثيرة؟
القول الأول: أنه موازين كثيرة بحسب الأمم والأفراد أو الأعمال لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعاً، وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.
القول الثاني: أنه ميزان واحد لأنه ورد في الحديث مفرداً وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون.

قال الشيخ ابن عثيمين: والصحيح: أن كلا الأمرين محتمل. [انظر لمعة الاعتقاد لابن عثيمين].

ثانياً: الإيمان بالحوض:

الحوض ثابت بإجماع أهل الحق كما جاءت به الأدلة الكثيرة، قال ابن القيم: "قد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة وكثير منها أو أكثرها في الصحيح"، قال السيوطي رحمه الله تعالى: "ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً منهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفاظ الصحابة المكثرون رضوان الله عليهم أجمعون".

ومن الأدلة في ذلك حديث جندب رضي الله عنه المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا فرطكم على الحوض" والفرط هو الذي سبق إلى

الحوض. وحديث سهل بن سعد رضي الله عنه المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب، ومن شرب لا يظماً أبداً وليردن علي أقوام اعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم" وغيرها من الأحاديث وقد أجمع أهل السنة على إثبات الحوض.

ويَرِدُ الناس الحوض حينما يشتد عليهم الكرب في الموقف، وتدنو الشمس من الرؤوس بقدر ميل ويعرق الناس عرقاً شديداً فيشتد بالناس العطش ويكثر الخوف فيا بُشِرَى من شرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم شربة لا يظماً بعدها أبداً.

- صفة الحوض:

صفاته وردت في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظماً أبداً" وفي لفظ: "حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق". ولمسلم من حديث أبي ذر مرفوعاً: "ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل" ولمسلم أيضاً من حديث ثوبان مرفوعاً: "يَغْتُ فيه ميزابان من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من ورق" يغت: أي يصب.

- مقدار الحوض:

جاء في رواية عند أحمد "كما بين عدن وعمان"، وجاء في رواية أخرى في الصحيح "كما بين أيلة إلى مكة"، وفي أخرى: "كما بين المدينة وصنعاء" ولمسلم من حديث عقبة: "وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة" وكلها متقاربة توافق رواية "مسيرة شهر".

- يُرَدُّ عن الحوض أقوام بَدَلُوا وَغَيَّرُوا فِي دِينِ اللَّهِ.

عن أبي مليكة عن أسماء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إني على الحوض حتى أنظر من يردُّ عليَّ منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول: يارب مني ومن أمتي فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم" وكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن في ديننا. رواه البخاري.

وفي لفظ لمسلم عن أم سلمة: "فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سُحْقاً".

وجاء عند مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: "... وإني لأصدُّ عنه كما يصدُّ الرجل إبل الناس عن حوضه" قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال: "نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون عليَّ غرّاً محجلين من أثر الوضوء". والحوض مخلوق الآن، فقد روى عقبة عند البخاري "أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف على المنبر

فقال: "إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن..".
 - أنكرت المعتزلة الميزان والحوض فلم يقولوا بثبوتها، وأيضاً ممن أنكروا الحوض الخوارج، وقد سبقت الأدلة على ثبوتها وأجمع أهل السنة والجماعة على ذلك.

قال بعض أهل العلم أن الكوثر أيضاً يُسمى حوضاً.
 قال القرطبي: "هما حوضان الأول قبل الصراط وقبل الميزان على الأصح، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم فيردونه قبل الميزان، والثاني في الجنة، كلاهما يسمى كوثرًا كما روى مسلم في صحيحه عن أنس قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفائه ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: "أنزلت عليّ آناً سورة فقرأ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟" قلنا الله ورسوله أعلم، قال: "هو نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوضي تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء يختلج العبد منهم فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال: أما تدري ما أحدثوا بعدك". [انظر التعليقات السننية للرشيد].

ثالثاً: الإيمان بالصراط:

الصراط في اللغة هو: الطريق، وشرعاً الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة وهو ثابت في الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لِلْأَ

وَأَرِدْهَا ﴿ [مریم: ٧١]. فسرھا ابن مسعود وقتادة وزید بن أسلم بالمرور علی الصراط ﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴿ هذا قسم من الرب جل وعلا، وفسرها ابن عباس وغيره بالدخول فی النار لكن ینجوا منها، وقال صلی الله علیه وسلم: «ثم یضرب الجسر علی جهنم وتحل الشفاعة ویقولون: اللهم سلم سلم». متفق علیه، وأجمع أهل السنة علی إثباته، وهو دحض مزلة، وفی صحیح مسلم من حدیث أبی سعید قال: بلغنی أنه أدق من الشعر وأحد من السیف. وروی أحمد نحوه عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعاً، وروی البخاری عن أبی هريرة رضي الله عنه، وبه: كلالیب مثل شوك السعدان غیر أنها لا یعلم قدر عظمها إلا الله تحطف الناس بأعمالهم، فمنهم من یمر كالبرق، ومنهم من یمر كالریح، ومنهم من یمر كأجاويد الخیل والركاب، ومنهم من یعدو عدواً، ومنهم من یمشي مشياً، ومنهم من یزحف زحفاً، ولا یعبر الصراط، یعنی: ینتهي منه فیتجاوزه إلا المؤمنون، و: (یجوزه الأبرار). یعنی: المؤمنون، ولهذا یقول أهل الإعتقاد، (ویزل عنه الفجار)، یعنی: یسقطون فی نار جهنم، ولا یعبر الصراط إلا المؤمنون علی قدر أعمالهم لحديث أبی سعید عن النبی صلی الله علیه وسلم وفیه: «فیمر المؤمنون كطرف العین وكالبرق وكالریح وكالطیر وكأجاويد الخیل والركاب فناجٍ مُسَلِّمٌ ومَحْدُوشٌ مرسل ومكْدُوسٌ فی جهنم». متفق علیه، علی قدر أعوانهم، وأول من یعبر الصراط من الأنبياء محمد صلی الله علیه وسلم، ومن الأمم أمته لقوله صلی

الله عليه وسلم : « فأكون أنا وأمتي أول من يميزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم». رواه البخاري، إذا الصراط حقٌ يجوز أن يعبره الأبرار ويزل أن يسقط عنه الفجار

فالصراط مما يجب اعتقاده عند أهل السنة والجماعة، فقال الناظم: (وكذا الصراط) أي: وأقر بالصراط كالإقرار بالميزان والحوض.

قال المرداوي في اللآلئ البهية (ص ١٠٣): "اعلم وفقك الله أن الصراط حق ثابت في الكتاب والسنة واتفاق الأمة، وهو في اللغة: الطريق الواضح، وفي الشرع: جسر ممدود على جهنم فيرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار".

- الصراط:

جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه وصف الصراط: " مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ " وعند مسلم قال أبو سعيد بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف.

وجاء عند الحاكم من حديث سلمان مرفوعاً أنه كحد موسى.

[مدحضة مزلة: أي زلق تزلق فيه الأقدام. كلاليب: جمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة وهي حديدة معطوفة الرأس يُعلق فيها اللحم ويرسل إلى التنور. خطاطيف: الخطف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة.]

- حال الناس على الصراط:

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديث الشفاعة وفيه: "فيأتون محمداً فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق" قال: قلت بابي أنت وأمي! أي شيء كمر البرق؟ قال: "ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبىكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار".

وقوله: "فمخدوش ناج ومكدوس في النار" هو ما أراده الناظم

بقوله: [فمسلم ناج وآخر مُهْمَل]

قال شيخ الإسلام: "يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم" [انظر العقيدة الواسطية].

قال ابن حجر في الفتح ١١ / ٤٦١: عند ذكر الأمانة والرحم في الحديث السابق: " أي يقفان في ناحية الصراط، والمعنى أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين والخائن والمواصل والقاطع فيحاجبان عن المحق ويشهدان على المبطل".

- أول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ومن الأمم أمته.

روى البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعاء الرسل يومئذ سلم سلم".

والمرور على الصراط عام للمؤمنين ومن ادّعى الإيمان (كالمنافقين) ولكنهم يتساقطون، ولا يمكن الوصول إلى الجنة إلا بعد تجاوز الصراط.
- القنطرة:

لم يذكرها المؤلف جاء بيانها في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا خلص المؤمنون من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم بدخول الجنة فلاأحدهم أهدى إلى منزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا".

والقنطرة عبارة عن صراط ومكان خاص بالمؤمنين وليس يسقط أحد منهم في النار.

رابعاً: الإيوان بالجنة والنار:

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار.

وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار في اللغة معروفة، وشرعاً الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين، قال المصنف: (مخلوقتان). يعني: الآن، فنؤمن بأن الجنة أعدها الله عز وجل للمتقين وأن النار أعدها للكافرين، ولذلك قال تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. والإعداد هو التهيئة هيئها جاهزة مخلوقة، ولقوله صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الكسوف: «إني رأيت الجنة». رأيت الجنة فرآها «فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلت منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرى كاليوم منظرًا قط أفضع». الحديث متفق عليه، إذا (الجنة والنار مخلوقتان لا تفتيان)، الفناء هو: الإعدام، يعني: الجنة باقية لا تفتنى أبداً، والنار كذلك باقية لا تفتنى أبداً، وهذا محل إجماع محل إجماع بين السلف لقوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨]. والتأبيد إنما يكون في المستقبل، والآيات في تأبيد الخلود في الجنة كثيرة في القرآن، وأما في النار فذكر التأبيد تأبيد

النار في ثلاثة مواضع في النساء قوله تعالى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩] وفي الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، وفي سورة الجن: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. هذه كلها تدل على أن الجنة وكذلك النار مؤبدة أبد الآباد

فالجنة والنار كل واحدة منهما حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، والإيمان بهما واجب والجنة دار الثواب، والنار دار العقاب.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: " فإنه اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان، وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار يقال: هذا مقعدك من النار حتى يبعثك الله يوم القيامة " متفق عليه.

ولقد تواترت الأحاديث وقبلها الآيات بأخبار النار وما أعد الله فيها للفقار والكفار ومن ذلك قوله تعالى:

{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾} [سورة

الليل].

وأيضاً ما جاء في الصحيحين في حديث الكسوف: "... ورأيت النار فلم أر كالיום منظرًا قط أفظع"، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: " نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم"، فقالوا يا رسول الله: إن كانت لكافية، فقال: "إنها فضلت عليها بتسع وستين جزءاً".

وفي الصحيحين أيضاً من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً: "إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه" إلى غير ذلك من الأدلة المستفيضة من الكتاب والسنة.

وأما الجنة فهي الدار التي أعدها الله للمتقين من عباده، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر كما جاء في حديث أبي هريرة المتفق عليه، قال تعالى: {سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد ٢١].

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: " أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون فيها، وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم من الألوة، ويريحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية" إلى غير

ذلك من الأدلة المستفيضة من الكتاب والسنة.

فالنار أعدها الله للكفار على اختلاف أصنافهم فهي مأوى لهم خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، واللجنة إليها يؤول المؤمن فهي مأواه وأن من دخل من أهل الإسلام النار سوف يؤول إلى الجنة، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة خلافاً للمذاهب الباطلة الذين يُخلِّدون من دخل في النار فيها من المؤمنين وهو مذهب الخوارج والمعتزلة وهذا مذهب باطل مخالف للكتاب والسنة.

خامساً: الإيوان بالقبر نعيمه وعذابه:

مسألة البرزخ ونيعمه وعذابه من المسائل المهمة، وهي مرحلة بين الدنيا والآخرة، بل هي أول منازل الآخرة وفيها ينعم المرء المكلف أو يعذب، وعذاب القبر أو نعيمه حاصل ولا بد لكل إنسان أن يناله أحد الأمرين ولو لم يُقبر، ولو احترق، ولو أكلته السباع أو الطيور، فإنه لا بد أن يناله ذلك الألم أو ذلك النعيم، لأن حكم الآخرة غير حكم الدنيا، فالإنسان مركَّب من جسد وروح، وهذه الروح بعد الموت تخرج من الجسد فتبقى إما معذبة أو منعمة، وهل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أو البدن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب والنعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم أو العذاب" أهـ.

ومرحلة البرزخ هي مرحلة تسبق المراحل السابقة (الجنة والنار والصراط والحوض والميزان) وأهل السنة والجماعة يؤمنون به وبنعيمه وعذابه لتواتر الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ثبوت نعيم القبر وعذابه وسؤال الملكين، ويوجبون الإيمان به، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال".

وفي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنه وعن أبيها أنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر؟ قال: "نعم عذاب القبر حق".

وأخرج أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله". قال: ثم أخذ عوداً رطباً فشقه باثنين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا". متفق عليه.

وفي حديث البراء الطويل وفيه عن سؤال الملكين ونعيم المؤمن، "... فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً

إلى الجنة... " ثم قال في حق الكافر "... فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلأعه... " رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

جاء في سنن الترمذي أن اسم الملكين (منكر ونكير) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فيأتيانه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير.. " صححه ابن حبان وحسنه الألباني.

قال السيوطي رحمه الله تعالى:

وضبط منكر بفتح الكاف فليست أدري فيه من خلاف

وجاء في حديث أن اسم الملكين (مبشر وبشير) وجاء في حديث آخر أن عددهم أربعة، وأن اسم الثالث

والرابع (ناكور ورومان) وكلها أحاديث ضعيفة.

والحق عند أهل السنة أن عذاب القبر على النفس والبدن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصله بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون على الروح منفردة عن البدن. وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون

الروح؟ فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام. قال شيخ الإسلام: وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث، أحدها قول من يقول إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح وإن البدن لا ينعم ولا يعذب. قال وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين، ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور، وهؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط، ويقولون إن الأرواح هي المنعمة والمعذبة في البرزخ فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معا، قال وهذا قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن ميسرة، قال وهذا ليس من الأقوال الشاذة بل هو مضاف إلى قول من يقر بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الأبدان والأرواح، ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال، على الروح فقط، عليها وعلى البدن بواسطتها، على البدن فقط، وقد يضم إلى ذلك القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة - ويجعل الشاذ قول منكر عذاب الأبدان مطلقا وقول من ينكر عذاب البرزخ مطلقا؟ فإذا جعلت الأقوال الشاذة ثلاثة (فالقول الثاني) الشاذ قول من يقول إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وإنما الروح هي الحياة وهذا (الجزء رقم: ٢) - ص ٢٥ - يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة

والأشعرية كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وهو قول باطل، وقد خالفه أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره، بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة أن الروح تبقى بعد فراق الأبدان وأنها منعمة أو معذبة.

قال والفلاسفة الإلهيون يقرون بذلك لكن ينكرون معاد الأبدان، وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان، وكلا القولين خطأ وضلال. نعم قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الإسلام وإن وافقهم عليه من يعتقد أنه يتمسك بدين الإسلام بل يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف و (التحقيق في) الكلام.

(القول الثالث) من الشواذ قول من يقول إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل (لا) يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك بعض المعتزلة وغيرهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في أمر البرزخ إلا أنهم خير من الفلاسفة لأنهم مقرون بالقيامة الكبرى. انتهى.

فإذا علمت هذه الأقوال وعرفت بطلانها فاعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الإنسان إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن

أحياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم إلى رب المعاد، قال ابن القيم: والذين قالوا إن عذاب القبر يجري على الميت من غير رد الأرواح إلى الأجساد وأن الميت يجوز أن يألم ويحس بالألم ويعلم بلا روح هم جماعة من الكرامية ومن وافقهم، وقال جماعة من المعتزلة إن الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها، قالوا وسبيل المعذبين من الموتى سبيل السكران والمغمى عليه لو ضربوهم لم يجدوا الآلام فإذا عاد إليهم العقل أحسوا بألم الضرب، وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأساً مثل (ضرار) بن عمرو ويحيى (الجزء رقم: ٢) - ص ٢٦ - بن كامل وهو قول المريسي فهذه أقوال أهل الحيرة والضلال وقد علمت مذهب سلف الأمة وأعيان الأئمة والله أعلم.

وسئل فضيلة الشيخ: هل عذاب القبر على البدن أو على الروح؟ فأجاب بقوله: الأصل أنه على الروح لأن الحكم بعد الموت للروح، والبدن جثة هامدة، ولهذا لا يحتاج البدن إلى إمداد لبقائه، فلا يأكل ولا يشرب، بل تأكله الهوام، فالأصل أنه على الروح لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الروح قد تتصل بالبدن فيعذب أو ينعم معها، وأن لأهل السنة قولاً آخر بأن العذاب أو النعيم يكون للبدن دون الروح واعتمدوا في ذلك على أن هذا قد رئي حساً في القبر فقد

فتحت بعض القبور ورئي أثر العذاب على الجسم، وفتحت بعض القبور ورئي أثر النعيم على الجسم. وقد حدثني بعض الناس أنهم في هذا البلد هنا في عنيزة كانوا يحفرون لسور البلد الخارجي، فمروا على قبر فانفتح اللحد فوجد فيه ميت أكلت كفنه الأرض وبقي جسمه يابساً لكن لم تأكل منه شيئاً حتى إنهم قالوا : إنهم رأوا لحيته وفيها الحنا وفاح عليهم رائحة كأطيب ما يكون من المسك، فتوقفوا وذهبوا إلى الشيخ وسألوه فقال : دعوه على ما هو عليه واجنبوا عنه، احفروا من يمين أو من يسار.

فبناء على ذلك قال العلماء : إن الروح قد تتصل في البدن فيكون العذاب على هذا وهذا، وربما يستأنس لذلك بالحديث الذي قال فيه رسول الله، ﷺ : (إن القبر ليطبق على الكافر حتى تختلف أضلعه) فهذا يدل على أن العذاب يكون على الجسم لأن الأضلاع في الجسم والله أعلم.

وسئل الشيخ: إذا لم يدفن الميت فأكلته السباع أو ذرته الرياح فهل يعذب عذاب القبر؟

فأجاب قائلاً: نعم ويكون العذاب على الروح، لأن الجسد قد زال وتلف وفني، وإن كان هذا أمراً غيبياً لا أستطيع أن أجزم بأن البدن لا يناله من هذا العذاب ولو كان قد فني واحترق لأن الأمر الأخروي لا يستطيع الإنسان أن يقيسه على المشاهد في الدنيا.

الرد على من ينكر عذاب القبر

- فائدة: شهيد المعركة والمرابط في سبيل الله يُؤمَّنان من فتنة القبر فهم مستثنون من فتنة القبر، ويدل على ذلك:

عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنون يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة" رواه النسائي.

وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله قال: "كلُّ الميت يختم على عمله إلا المرابط، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر" رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

- هل تأكل الأرض أجساد الشهداء كسائر الناس أم لا؟

معلوم أن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كما جاء في السنن، وأما الشهيد فقد شوهد منهم من لم يتغير بعد مدة من دفنه، كما جاء في صحيح البخاري أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه استخرج أباه بعد ستة أشهر من دفنه، وكان أبوه قُتل يوم أحد، يقول جابر رضي الله عنه: "فاستخرجته فإذا هو كيوم وضعته هنيهة" فيُحتمل بقاء أجسادهم، ويحتمل فناؤها بعد زمن والله أعلم.

- مسألتان:

المسألة الأولى: هل يستمر عذاب القبر؟

قال ابن عثيمين: "أما إذا كان الإنسان كافراً والعياذ بالله فإنه لا طريق إلى وصول النعيم أبداً، ويكون عذابه مستمراً، وأما إن كان عاصياً وهو مؤمن فإنه إذا عُذّب في قبره يُعذّب بقدر ذنوبه، وربما يكون عذاب ذنوبه أقل من البرزخ الذي بين موته وقيام الساعة، وحينئذ يكون منقطعاً" [انظر الممتع ج ٣، ص ٢٥٣].

المسألة الثانية: أين يكون مأوى الأرواح بعد دخولها القبر؟

إذا مات العبد تصعد روحه إلى السماء فإن كان مؤمناً فتحت له أبواب السماء حتى تصعد روحه إلى السماء السابعة ثم ينادي منادي من السماء أن اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ثم تعاد روحه في جسده ويسأل ثم ينعم.

وإن كان كافراً أو منافقاً صعّدت روحه إلى السماء فيستفتحون لها فلا يُفتح لها وينادي منادي من السماء أن اكتبوا كتاب عبدي في سجين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم... كما جاء في حديث البراء في مسند الإمام أحمد وبعض السنن.

- وهل تتفاوت الأرواح في مستقرها في البرزخ؟

قال ابن القيم: الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت

فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملاء الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء.

ومنها: أرواح في حواصل طير خُضِرٍ تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تُحبس روحه عن دخول الجنة لِذَيْنٍ عليه أو غيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله مالي إن قُتِلْتُ في سبيل الله؟ قال: "الجنة" فلما ولى، قال: "إلا الدَّين سارَّني به جبريل آنفاً".

ومنهم: من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر "رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة".

ومنهم: من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلَّها ثم استشهد فقال الناس هنيئاً له الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلَّها لتشتعل عليه ناراً في قبره".

ومنهم: من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس: "الشهداء على بارق نهر الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية". رواه أحمد.

وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

ومنهم: من يكون محبوساً في الأرض لم تعل روحه إلى الملاء الأعلى فإنها كانت روحاً سفلية أرضية فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما تجامعها

في الدنيا والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربه ومحبه وذكره والأنس به
والتقرب إليه بل هي أرضية سفلية...

ومنها: أرواح تكون في تنور الزناة والزواني وأرواح في نهر الدم تسبح فيه
وتلتقم الحجارة، فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل روح في أعلى
عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض "[انظر كتاب الروح لابن القيم
ص ١٨٧]

فتاوى

(سئل فضيلة الشيخ: كيف نجيب من ينكر عذاب القبر ويحتج بأنه لو كشف
القبر لوجد لم يتغير ولم يضق ولم يتسع؟
فأجاب - حفظه الله - بقوله: يجب من أنكر عذاب القبر بحجة أنه لو كشف
القبر لوجد أنه لم يتغير بعدة أجوبة منها:

أولاً: أن عذاب القبر ثابت بالشرع قال الله تعالى في آل فرعون: {النار
يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب}
وقوله، ﷺ: (فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي
أسمع ثم أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من
عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا: نعوذ بالله من عذاب
القبر). وقول النبي ﷺ في المؤمن: (يفسح له في قبره مد بصره) إلى غير ذلك من

النصوص فلا يجوز معارضة هذه النصوص بوجه من القول بل الواجب التصديق والإذعان.

ثانياً: أن عذاب القبر على الروح في الأصل، وليس أمراً محسوساً على البدن فلو كان أمراً محسوساً على البدن لم يكن من الإيثار بالغيب ولم يكن للإيمان به فائدة لكنه من أمور الغيب، وأحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا.

ثالثاً: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه، إنما يدركه الميت دون غيره والإنسان قد يرى في المنام وهو نائم على فراشه أنه قائم وذهاب وراجع، وضارب ومضروب، ويرى أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، والذي حوله لا يرى ذلك ولا يشعر به.

والواجب على الإنسان في مثل هذه الأمور أن يقول: سمعنا وأطعنا، وآمنا وصدقنا.

هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟

(١٥٧) وسئل فضيلته: هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟

فأجاب بقوله: أما إن كان الإنسان كافراً والعياذ بالله فإنه لا طريق إلى وصول النعيم إليه أبداً ويكون عذابه مستمراً.

وأما إن كان عاصياً وهو مؤمن، فإنه إذا عذب في قبره يعذب بقدر ذنوبه وربما يكون عذاب ذنوبه أقل من البرزخ الذي بين موته وقيام الساعة وحينئذٍ

- قال المصنف رحمه الله تعالى:

هذا اعتقاد الشافعي " و " مالك " □ و " أبي حنيفة " ثم " أحمد " يُنقل
فإن اتبعت سبيلهم فموفق □ وإن ابتدعت فما عليك معول

هذا: أي ما مضى من جوابي للسائل واعتقادي هو اعتقاد هؤلاء الأئمة

الأعلام.

يُنقل: بضم الياء، إشارة إلى ما نقله عنهم أئمة النقل.

السييل: هو الطريق و المقصود هو ذلك الاعتقاد الذي اعتقدوه، بدون

تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل.

- الفوائد: ترجمة مختصرة للأئمة مرتبة ترتيباً زمنياً:

الإمام الأول: أبو حنيفة:

- النعمان بن ثابت التيمي الكوفي الفقيه المجتهد فارسي الأصل وولد بالكوفة

سنة ٨٠ هـ ونشأ بها وهو من تابعي التابعين، إمام أهل الرأي، وفقه أهل العراق،

قال عنة الشافعي: " الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة ".

- من تلاميذته الإمام أبو يوسف القاضي فقيه، حافظ وهو الذي دون أصول

إمامه ونشر مذهب الحنفية، ومنهم أيضاً: محمد بن الحسن الشيباني، الذي انتهت

إليه رئاسة الفقه في العراق بعد أبي يوسف.

- صنف أبو حنيفة (الفقه الأكبر) في العقيدة، وتوفي سنة ١٥٠ هـ.

الإمام الثاني: مالك:

- هو مالك بن أنس الأصبحي الحميدي المدني، ولد عام ٩٣ هـ، وهو إمام دار الهجرة في الفقه والحديث وهو من أكابر من روى عنه الإمامان أبو حنيفة والشافعي.

- فُتِنَ رحمه الله وُضِرَبَ بالسياط لما وُثِيَ به إلى جعفر عم المنصور العباسي، فضربه سياطاً انخلعت منها كتفه.

- أرسل إليه الخليفة الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه فقال: " العلم يؤتى " فجاء الرشيد إلى منزله واستند إلى الجدار فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلال العلم فجلس الخليفة بين يديه فحدثه.

- أخذ العلم عن: عبد الرحمن بن هرمز، ونافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وربيعة الرأي.

- ومن تلامذته: عبد الرحمن بن قاسم، وأشهب بن عبد العزيز مفتي الديار المصرية، وتلمذ عليه الشافعي.

- صنف الموطأ وله رسائل في الوعظ والرد على القدرية وتفسير غريب القرآن وتوفي عام ١٧٩ هـ.

الإمام الثالث: الشافعي:

- محمد بن إدريس الشافعي المطلبي ولد في غزة عام ١٥٠هـ، ومُحْمَلٌ إلى مكة وعمره سنتان، ونشأ بمكة وأخذ الفقه وعلوم القرآن عن مسلم الزنجي، ثم رحل إلى المدينة وتفقه على الإمام مالك بن أنس وسمع منه الموطأ، وأخذ الحديث وعلومه عن سفیان بن عيينة وعلماء المدينة، ثم رحل إلى العراق وأخذ عن تلميذ أبي حنيفة محمد بن الحسن (فقه الرأي).

- كان آدب الناس وبرع في اللغة وأيام العرب وفي الشعر حتى قيل: شاعر الفقهاء، وفقه الشعراء وهو الذي يقول:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

قال عنه الإمام أحمد: " ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منة " .

- ومن تلامذته: أبو يعقوب يوسف البويطي وهو الذي جمع كتاب الأم للشافعي، وإسماعيل المزني الذي اختصر كتاب الأم، ومن تلامذته: الإمام أحمد بن حنبل.

- له رسالة في أصول الفقه، وله كتاب الفقه الكبير (الأم)، توفي سنة ٢٠٤هـ. الإمام الرابع: أحمد بن حنبل:

- هو أحمد بن حنبل الشيباني أصله من مرو، وأبوه والي سرخس، ولد ببغداد

عام ١٦٤هـ.

- أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس الأبيض، يخضب بالحناء.
- طلب العلم في كثير من البلاد وتفقه على الشافعي حين قدم بغداد، واهتم بالحديث وجمعه حتى صار إمام المحدثين في عصره.
- فُتن وعذب في فتنة القول بخلق القرآن، ولكنه صمد ووقف في وجه القائلين بها حتى نصره الله، قال علي بن المديني: لقد عصم الله الأمة زمن الردة بأبي بكر الصديق، وزمن المحنة بأحمد بن حنبل.
- من تلامذته: ابنه صالح وعبد الله، فالأول عني بالفقه، والثاني بالحديث وله الزوائد، ومنهم أبو بكر المرّودي أحمد بن الحجاج عالم بالفقه والحديث وله كثير من التصانيف.
- كنت محنة أحمد بن حنبل في خلق القرآن من أهم القاضية التي كنت في تاريخ الإسلام حتى قال العلماء في ذلك
- قال الميمون: قال لي علي بن المديني بعدما امتحن أحمد بن حنبل:
- يا ميمون، ما قام أحد في الإسلام مثل ما قام أحمد بن حنبل
- قال ميمون: فعجبت من هذا عجباً شديداً وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام، فحكيت له مقالة علي بن المديني، فقال: صدق، إن أبا بكر وجد له يوم الردة أنصاراً وأعواناً وإن أحمد لم يكن له أنصار ولا أعوان [1]
- ختم الناظم أبياته ببيان أن هؤلاء الأئمة هذا اعتقادهم الذي ذكر لك أيها

السائل، في الصفات، وإمرارها كما جاءت، ويؤمنون بعلم الغيب وأن الله استأثر به، وأن من أنكر هذه المغيبات مثل: القبر والصراط والحوض والميزان والقنطرة والجنة والنار

وما فيهما من عذاب ونعيم أن من أنكرها فقد كفر، ولا يثبتون إلا ما ورد إثباته ولا ينفون إلا ما ورد نفيه، وذكر الشيخ أن الخاسر من زاغ عن طريقهم وانحرف عن منهجهم منهج أهل السنة والجماعة، بل وعد المبتدعين الذين يُحْكَمُونَ عقولهم فقط في إثبات ما يتعلق بالله ويعترضون على كل مالا تستجيب له عقولهم فنبذوا الكتاب والسنة والإجماع بالخسران والهوان وإتباع الجدل والمراء ، جعلني الله وإياك ممن يجعل الكتاب والسنة له نبراساً في هذه الحياة ونجاة في حياة الآخرة.

والحمد لله